تدوين المذكرات
بين خطر الزلل وخَتَل الغفلةْ

الدكتور / عبد الحميد محمد أحمد

مقدمة:

تأتي المذكرات التي يرصدها كتابة بعض الناس من رؤساء وزعماء ورواد في مجالاتهم وقادة جيوش وصُنَّاع قرار ومؤثرين سياسياً واقتصادياً وثقافياً ومَنْ إلي هؤلاء من الرجال والنساء في شتى بقاع العالم عبر الأجيال، تأتي هذه المذكرات ترتيباً متعمداً لعددٍ من الأهداف مثل:

- تحديد الحقائق من تاريخية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية مثل رؤساء الدول وملوكها واقتصاديوها ...الخ.
- بقصد التميزُ عن الآخرين والانتساب إلي الامتياز والاستحواذ على المعالي.
- من أجل الكتابة وحسب كي يقول الناس عنه ما يود أن يسمعه عجباً بنفسه ونيلْ مكاسب يسعى إليها بأساليبه.
- إبـرازاً للحقيقة والصـواب من وجهة نظره استنفاراً للآخرين للكشف عن أمر لا يأتي إلاَّ بهذه الحيلة للذين يشتركون معه في المجال المحدد.

المحث الأول:

مَنْ يستفيد من تدوين المذكرات؟

تعود الفائدة – بلا شك – من رواية المذكرات وتدوينها إلي عدد من الجهات ذات الصلة العتيقه بمصدر التدوين مثل:

أ. بلد الراوي أو الجهة التي ينتمي إليها.

ب. المخالفون للراوي سوءا في الفكرة أو الحقيقة والمعلومة في كليتها أو في جزء منها.

ت. الباحثون في الرواية، والدارسون لها ولأمثالها في المجال المختص الذي رويت فيه ودونت.

ث. ربما يكون مدون المذكرات يكتب تلبيةً لدعوة من جهة أغرته أو حفّزته كي يصدر المذكرات بمقاصد استخباراتية، فتأتي كتابة المذكرات تضليلاً متعمداً أو طُعمة لاصطياد الآخرين في المجال المختص وخاصة في مجالات الأمن والقوات العسكرية والاستقرار أو عدمه... الخ.

ج. تكتب المذكرات أحياناً من أجل الكسب المالي ونيْل الشهرة وهنا تعود الفائدة لراوي المذكرات بصورة مباشرة خاصة إذا كانت الشخصية قد تقلدت منصباً شديد الحساسية وله مؤثراته محلياً أو إقليمياً أو عالمياً.

ثم ننظر في خطورة كتابة المذكرات التي يكتبها الأشخاص منفردين – إذ لم أر مذكرات كتبتها جماعة مدونة في كتاب واحد- وإلا لصار اسمها غير هذا الاسم ولتغيَّر طعمها ولونها وربما شكلها، فالخطورة تتمثل في:

المبحث الثاني:
خطورة كتابة المذكرات:

١- كل كُتَّاب المذكرات يقولون عن أنفسهم – إن لم أغال- أنهم كانوا خلال حصولهم على تعليمهم في مختلف مراحله في المقدمة التي قلّما ينافسهم فيها منافس إذا تطرقوا لهذه المرحلة من حياتهم.

٢- ربما لا يتركون لشاهد في عصرهم مجالاً يستطيع من خلال رواياتهم منفذاً لنقدهم أو مخالفتهم الرأي أو قول الحقيقة إن هم زاغوا عنها عمداً أو زلت أقلامهم بغير قصد، وذلك بتعمد أنساق من الكتابة بحيث تغشى الآخرين بغاشية وتعمية يجد الآخرون أنفسهم أن الابتعاد أو عدم الزج بأقلامهم هو الأسلم لهم والأتقى لأنفسهم.

٣- عدم وجود الشهود على كتابة المذكرات إما بموتهم أو بغيابهم الطويل ، مما يفسح لكاتب المذكرات بالتمتع بحرية الكتابة بأكثر مما هو حقيقي في هامش الحرية، وهذه خطيرة مما يترك الكاتب وحده في الميدان بلا رقيب أو ناقد، ومن خطورة هذه الحالة ذكر الحقائق على عواهنها وإطلاقها إلي أبعد حد يستطيعه، وفي ذلك تزييف متعمد للحقائق مما يضر بالحالة.

٤- قد ينسى كاتب المذكرات أن لما يقوله مراقبون – ولو على البُعد المكاني أو الزماني- وذلك عن غفلة منه أو تضليل من آخرين، وهنا يدخل كاتب المذكرات فيما لا تُحمد عقباه مما ذكر.

المبحث الثالث:
فئات كتاب المذكرات:

وعلى ضوء ذلك فإن كاتبي المذكرات ينقسمون إلي فئات حددتها تخصصاتهم أو الأعمال التي قاموا بها من وظيفة عامة بأقدار مختلفة تبدأ من رئيس الجمهورية مروراً بالوزير وقائد الجيش، والرائد فيما هو فيه من مسئولية، وهم بذلك على النحو التالي فيما أقتني من مرجعيات أتيحت لي:

أولاً: الحكـــام:

وهم الذين سطروا خواطرهم بما استطاعوا من معايير تثبت مقدراتهم في إدارة شئون بلادهم مثل:

١- محمد نجيب في كتابه (كنت رئيساً لمصر) صدر في القاهرة عام ١٩٨٤م في جزء واحد.

٢- ونستون تشرشل في كتابه (مذكرات تشرشل) صدر بترجمة عربية في بغداد في جزءين بدون تاريخ.

ثانياً: السفراء:

الذين مثلوا السودان في مختلف بلاد العالم وهم عندي:

١- السفير خليفة عباس العبيد في كتابه (أشتات الذكريات) الصادر بمركز محمد عمر بشير بأم درمان بدون تاريخ طباعة.

٢- السفير الأمين عبد اللطيف في كتابه (مشوار دبلوماسي) الصادر بمركز محمد بشير عمر بأم درمان عام ٢٠٠٥م.

ثالثاً: الوزراء:

تولوا مهامهم بالسودان في مختلف عهود الحكم الوطني، أي بعد الاستقلال عام ١٩٥٦م وهم مثل:

١- أحمد سليمان في كتابه (ومشيناها خطى) الصادر ببيروت عام ١٩٨٣م.

٢- عبد الماجد أبوحسبو في كتابه (مذكرات عبد الماجد أبو حسبو) الصادر بالخرطوم عام ١٩٨٧م.

٣- أمين التوم في كتابه (المسيرة) صدر بالخرطوم عام ١٩٩٠م.

٤- الدكتور عمر نور الدائم في كتابه (من الركاب للتراب) وهو من تدوين عوض أبو المعالي، صدر بالخرطوم عام ٢٠٠٤م.

٥- مزمل سلمان غندور في كتابه (أيام زمان) صدر بالخرطوم عام ١٩٧٤م.

٦- مرتضى أحمد إبراهيم في كتابه (الوزير المتمرد) الصادر بالقاهرة بدون تاريخ.

٧- عبد الوهاب إبراهيم سليمان في كتابه (أوراق من الذاكرة) الصادر بمركز محمد عمر بشير بأم درمان عام ٢٠٠٧م.

٨- مأمون بحيري في كتابه (لمحات من تجارب رجل خدمة عامة من الرواد السودانيين) الصادر بالخرطوم عام ٢٠٠١م.

٩- على محمد شمو في كتابه (تجربتي مع الإذاعة) الصادر بالخرطوم بدون تاريخ.

١٠- الأمين محمود جميل في كتابه (أعوام مع الشريف حسين الهندي) الصادر بالخرطوم عام ٢٠٠٩م.

١١- قلواك دينق قرنق في كتابه (النهر والرجال) الصادر بالخرطوم بدون تاريخ.

رابعاً: رواد الخدمة المدنية:

يأتوا في ركاب (الوزراء) متداخلين معهم في وظائفهم إذا تقريباً التقوا في اتجاه يفضي إلي الخدمة العامة، أذكر منهم:

١- أحمد محمد يس في كتابه (مذكرات أحمد محمد يس) الصادر بمركز محمد عمر بشير بأم درمان بدون تاريخ.

٢- عباس صالح موسى في كتابه (مشوار في دروب الخدمة المدنية) الصادر من مركز محمد عمر بشير بأم درمان عام ٢٠٠٥م.

٣- أبو حميد أحمد إبراهيم في كتابه (قصة كفاح ونجاح) الصادر عن دار عزة بالخرطوم عام ٢٠٠٧م.

٤- حسين محمد أحمد شرفي في كتابه (صور من الأداء الإداري في السودان ١٩٤٢-١٩٧٣) الصادر عن دار جامعة الخرطوم عام ١٩٩١م.

٥- عبد الله علي جاد الله في كتابه (مع الإدارة الأهلية في مسيرتها) الصادر عن مركز محمد عمر بشير بأم درمان عام ٢٠٠٥م.

٦- الدكتور فرانسيس دينق في كتابه (ذكريات بابو نمر) الصادر بالقاهرة عام ٢٠٠١م.

٧- موسى إبراهيم محمد في كتابه (أشواق للسيف المبصر، مشاهدات من العصر) الصادر عن دار عزة للطباعة بالخرطوم عام ٢٠١٠م.

خامساً: العلماء:

ولهم أيضاً دراسات فكرية وعلمية نُشر بعضها للقراء في هيئة مذكرات نذكر منهم:

١- مالك بن نبي في كتابه (مذكرات شاهد القرن) دار الفكر - بيروت ١٩٦٩م.

٢- مالك بن نبي في كتابه (مذكرات شاهد القرن - الطالب) دار الفكر - بيروت ١٩٧٠م.

٣- محمد متولي الشعراوي في كتابه (مشوار حياتي) الصادر بالقاهرة - بدون تاريخ.

٤- عبد الله الطيب في كتابه (من حقيبة الذكريات) الصادر عن دار جامعة الخرطوم للنشر عام ١٩٩٤م في طبعته الثانية.

٥- فرح عيسى محمد وآخران في كتابهم (فيض الذاكرة، أحاديث في الأدب والثقافة مع الأستاذ عبد الله الشيخ البشير) الصادر عن دار عزة بالخرطوم عام ٢٠٠٣م.

٦- جعفر حامد البشير في كتابه (السودان

في القرية والمدينة ذكريات وشخصيات وتاريخ) الصادر عن دار عزة بالخرطوم عام ٢٠٠٥م.

سادساً: السياسيون:

وهؤلاء أكثر الشرائح التي تدوِّن مذكراتها وأوسعها وأكثرها شوقاً لدى القراء لأنهم حكموا البلاد والعباد وبعض هؤلاء كانت عندهم خفايا وأسرار، كما لهم في العلن أدوار مشاهدة بل تتجلى خلال مذكراتهم حيلهم وأساليبهم وما فعلوه طاعة للشيطان، وما فعلوه تقرباً إلي الله تعالى، بل هم فيما يكتبون صدقاً وكذباً، حيدة وانحيازاً، عدلاً وظلماً، قتلاً وإحياء، وهكذا هم يحملون كل المتضادات مما ألف الناس ومما لا يألفون.

ومن بين السياسيين نساء يجلسن في الصف الثاني أو الخلفي، يرمزن ويشيرن ويغمزن ويأمرن فتطاع أوامرهن، ينهين فتنفذ نواهيهن سواء رغبة لتحقيق غاية وطنية أو هوى مطاع، أذكر منهم في هذه العاجلة من الرجال:

١- أحمد لطفي السيد، في كتابه (قصة حياتي) الصادر ضمن سلسلة (كتاب الهلال) تحت رقم ٣٧٧ بالقاهرة عام ١٩٨٢م.

٢- أحمد عرابي في كتابه (مذكرات الزعيم أحمد عرابي) السلسلة السابقة رقم ٤٦١ القاهرة عام ١٩٨٩م.

٣- محمد حرب (الإعداد) في كتابه مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني السلسلة السابقة رقم ٤١٨ القاهرة ١٩٨٥م.

ومن النساء:

٤- الأميرة جويدان في كتابها (مذكرات الأميرة جويدان) السلسلة السابقة رقم ٣٥٦ القاهرة ١٩٨٠م.

٥- هدى شعراوي في كتابها (مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة هدى شعراوي) السلسلة السابقة رقم ٣٦٩ القاهرة ١٩٨١م.

ومن الرجال أيضاً:

٦- الإمام عبد الرحمن المهدي في كتابه (مذكرات الإمام عبد الرحمن المهدي) الصادر بالقاهرة عام ١٩٩٦م.

٧- الأمين محمود جميل في كتابه (أعوام مع الشريف حسين الهندي).

٨- الزبير باشا في كتابه (الزبير باشا يروي سيرته في منفاه بجبل طارق) الصادر بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

٩- عبد الرحمن مختار في كتابه (خريف الفرح أسرار السودان ١٩٥٠-١٩٧٠) الصادر في طبعته الثانية بالخرطوم عام ١٩٩٦م.

سابعاً: معتقلون سياسيون:

هؤلاء يأتون في ركاب شريحة السياسيين لأن السياسة جنتْ عليهم وجلبت سجناً ويميل ما عندي من كُتَّاب هذه المذكرات إلي جهة اليسار الذين ترصدت بهم مختلف الحكومات، منهم:

١- صديق كبلو في كتابه (ذكريات معتقل سياسي في سجون نميري ١٩٧١-١٩٨٣) الصادر عن دار عزة بالخرطوم عام ٢٠١٠م.

٢-شوقي ملاسي في كتاب (أوراق سودانية) الصادر عن دار عزة بالخرطوم ٢٠٠٤م.

٣- خليل الياس في كتابه (كوبر هاجن والذكريات في سجون جعفر نميري) الصادر بالخرطوم عام ٢٠٠٧م.

٤- مبارك أحمد صالح المحامي في كتابه (يوميات معتقل سياسي) الصادر بالخرطوم عام ١٩٨٦م.

ثامناً: أهل الفن:

وهم كثر يدخل في زمرتهم المطربون

والملحنون ومؤلفو الأغنيات أذكر منهم:

١- فؤاد عمر في كتابه (عبد المنعم عبد الحي وذكرياته مع الفن) صادر عن مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأم درمان بدون تاريخ.

٢- محمد علي أبو قطاطي في كتابه (ناس أم درمان بطاقة زول) الصادر بأم درمان بدون تاريخ.

٣- فؤاد عمر في كتابه (مذكرات أمير العود حسن عطية) الصادر بمركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأم درمان بدون تاريخ.

٤- محمود أبو العزائم في كتابه (سحارة الكاشف) الصادر ببيروت بدون تاريخ.

تاسعاً: مذكرات اجتماعية:

وهذه أيضاً من الشرائح الواسعة التي تضم إليها عدداً كبيراً، وقد جمعتُ بينها لما بينها من اتفاق في الوجهة ولو كانت هناك بعض اختلاف، أذكر منها:

١- جان جاك روسو في كتابه (اعترافات جان جاك روسو) جزءان صدرا في بيروت عام ١٩٨٦م.

٢- توفيق الحكيم في كتابه(يوميات نائب في الأرياف)الصادر بالقاهرة عام ١٩٣٨م.

٣- عبد العاطي حامد في كتابه (مغامرات صحفي في قاع المجتمع المصري) صدر بالقاهرة في طبعته الرابعة بدون تاريخ.

٤- محجوب برير محمد نور في كتابه (مواقف على درب الزمان) جزءان في طبعتهما الأولى بأم درمان عام ١٩٨٩م.

٥- الدكتور مصطفى السيد في كتابه (مشاوير في دروب الحياة) الصادر بالخرطوم عام ٢٠٠٦م.

٦- عمر خليل عبد الله في كتابه (أوراق من رحلة الحياة) صادر بالخرطوم عام ١٩٩٤م.

٧- عمر خليل عبد الله في كتابه (عابر سبيل) صادر بالخرطوم بدون تاريخ.

٨- عبد اللطيف الخليفة في كتابه (مذكرات عبد اللطيف الخليفة) جزءان ١٩٣١-١٩٦٩ صدرا بدار جامعة الخرطوم للنشر عامي ١٩٨٨ و١٩٩٣ بتوالي الجزءين.

٩- الفكي عبد الرحمن في كتابه (يا ما كان) صدر بالخرطوم عام ٢٠٠٢م.

١٠- الدكتور علي شبيكة في كتابه (علمتني الأحفاد) الصادر في طبعته الأولى بالخرطوم عام ٢٠٠١م.

١١- عبد الله رجب في كتابه (مذكرات أغبش) الصادر بالخرطوم عام ١٩٨٨م.

١٢- أحمد عبد الوهاب محمد سعيد في كتابه (الخرطوم أيام زمان ذكريات وخواطر عن الخرطوم) صادر بالخرطوم عام ٢٠٠٥م.

١٣- هلال زاهر الساداني في كتابه (أيام التونج ذكريات في جنوب السودان) صدر بالخرطوم عام ٢٠٠٢م.

١٤- نصر الدين شلقامي في كتابه (يوميات سودانية) صدر عن دار عزة بالخرطوم بدون تاريخ.

١٥- محيي الدين أحمد عبد الله في كتابه (للتاريخ ومن أجل التاريخ) صدر بأم درمان بدون تاريخ.

١٦- الطيب حسن الطيب في كتابه (مذكرات عن الحركة العمالية) صدر عن دار جامعة الخرطوم عام ١٩٨٩م.

١٧- سيد أحمد خليفة في كتابه (أوراق شخصية من جدة إلي كوبر) صدر بالخرطوم بدون تاريخ.

١٨- حسن نجيله في كتابه (ذكرياتي في البادية) صدر ببيروت بدون تاريخ.

١٩- حسن نجيلة في كتابه (ذكرياتي في دار العروبة) صدر ببيروت بدون تاريخ.

٢٠- نظير مارون عبود في كتابه (مارون عبود من خلال ذكرياته) الصادر ببيروت عام ١٩٨٠م.

عاشراً: مذكرات الأجانب بالسودان:

تنحصر أسماؤهم -عندي- في دائرة الإدارة، وهم في الأغلب أوربيون جاسوا خلال الديار السودانية ببدائية الحياة عموماً في المأكل والمشرب والانتقال والتعامل ومن ملاحظاتي أنها جميعها كتبت بأسلوب شائق خلا- إلا نادراً- من الطعن في السوداني أو ثقافته وبالتالي كانوا يحذرون من الاقتراب من العقيدة الإسلامية وثقافتها واللغة العربية التي كان من الواجب عليهم إدارياً تعلمها كي ينالوا بها الترقي ويجيدون الإدارة ، من تلك المذكرات:

١- بشير محمد سعيد (الإعداد) في كتابه سير قوين بل يروي ذكرياته: (إدارة السودان في الحكم الثنائي) الصادر بالخرطوم عام ١٩٨٨م.

٢- الدكتور موسى عبد الله حامد (الإعداد) في كتابه (مغيب الشمس في السودان) من تأليف مايكل وآن تيبس ، صادر عن عزة بالخرطوم عام ٢٠٠٨م.

٣- دونالد هولى في كتابه (كانتربري السودانية) ترجمة محمد أحمد الخضر، صادر بأم درمان عام ٢٠٠٧م.

٤- يوسف ميخائيل في كتابه (مذكرات يوسف ميخائيل: التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان ، صدر في طبعته الثانية بمركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأم درمان عام ٢٠٠٤م.

٥- الدكتور عبد الله السريع في كتابه (سنوات في جنوب السودان) صدر في طبعته الأولى عام ١٩٨٦م.

الحادي عشر: مذكرات الدعاة:

وهم أيضاً لهم ميادينهم الثرة التي تفضي إلي تدوين الملاحظات والقضايا وما في الطريق إليهما مثل:

١- خليل علي حيدر في كتابه (أضواء على مذكرات حسن البنا) الصادر بالكويت عام ١٩٨٩م.

٢- خليل علي حيدر في كتابه (مذكرات مالكولم X زعيم الزنوج المسلمين في أميركا) ترجمة ذوقان قرقوط ، الصادر في بيروت عام ١٩٦٨م.

المبحث الرابع :

اعداد المذكرات المفردة والمصطلح:

مما تقدم وخلال المراجع التي بين يدي نستطيع أن نقف عند بعض المفردات المتنوعة ذات المعنى الواحد والتي صاغ منها مدوِّنو المذكرات كلمات خلالها عبَّروا عمَّا جاش بصدورهم كما رأينا، والمفردات هي:

١- الذكريات
٢- المشوار
٣- المذكرات
٤- لمحات
٥- القصة
٦- الأعوام
٧- الأوراق
٨- اليوميات
٩- الاعترافات
١٠- المغامرات
١١- الأيام

١٢- الأشتات
١٣- المسيرة
١٤- التجارب
١٥- الصور
١٦- السنوات
١٧- الأضواء
١٨- الفيض
١٩- المواقف

هذه المصطلحات الدالة على (المذكرات) هي بالتمام المصطلحات التي عبَّر بها كُتَّاب المذكرات، بينما هناك عدد آخر من هؤلاء المدوِّنين لمذكراتهم لا يستعملون أياً من هذه المصطلحات مثل:

١- محمد نجيب الذي كتب قائلاً (كنت رئيساً لمصر).

٢- الدكتور عمر نور الدائم الذي كتب مدوِّن مذكراته قائلاً (من الركاب للتراب).

٣- مرتضى أحمد إبراهيم في كتابه (الوزير المتمرد).

٤- قلواك دينق قرنق في كتابه (النهر والرجال).

٥- عبد الله علي جاد الله في كتابه (مع الإدارة الأهلية في مسيرتها).

٦- موسى إبراهيم محمد في كتابه (أشواق السيف المبصر مشاهدات من العصر).

٧- عبد الله الطيب في كتابه (من حقيبة الذكريات).

٨- جعفر حامد البشير في كتابه (السودان في القرية والمدينة).

٩- عبد الرحمن مختار في كتابه (خريف الفرح).

١٠- محمد علي أبو قطاطي في كتابه (ناس أم درمان).

١١- فؤاد عمر في كتابه (أمير العود حسن عطية).

١٢- محمود أبو العزائم في كتابه (سحَّارة الكاشف).

١٣- عمر خليل عبد الله في كتابه (عابر سبيل).

١٤- الفكي عبد الرحمن في كتابه (يا ما كان).

١٥- الدكتور علي شبيكة في كتابه (علمتني الأحفاد).

١٦- محي الدين أحمد عبد الله في كتابه (للتاريخ ومن أجل التاريخ).

١٧- الدكتور موسى عبد الله حامد في كتابه (مغيب الشمس في السودان).

١٨- دونالد هولي في كتابه (كانتربري السودانية).

المبحث الخامس:
نسق تدوين المذكرات

نجد أن المذكرات سارت في تدوينها على نسقيْن أو على مستوييْن هما:

الأول: التدوين المباشر الذي يتولاه صاحب الشأن، فيكتب على نفسه وعن مواقفه وعن كل ما احتاجته المذكرات.

الثاني: التدوين غير المباشر، بأن يتولى أحدهم الكتابة عن شخص آخر فيسجل مذكراته مثل:

١- الدكتور محمد حرب الذي تصدى للسلطان عبد الحميد الثاني وأصدر عنه كتاب (مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني).

٢- الدكتور فرانسيس دينق الذي تناول سجل خواطر عن طريق الحوار مع بابو نمر الذي كان صديقاً لوالده دينق ماجوك زعيم

الدينكا في بحر الغزال، فمن باب الوفاء كتب كتاب (ذكريات بابو نمر) تمشياً مع كتابه عن (ذكريات والده دينق ماجوك) وهذا الكتاب لم يكن من مراجعي لذا لم أتعرض إليه.

٣- فرح عيسى والطيب محمد الطيب وعبد الله علي إبراهيم وثلاثتهم تصدى لأحاديث شيخ شعراء السودان عبد الله الشيخ البشير وأصدروا كتاب (فيض الذاكرة).

٤- الأمين محمود جميل الذي دون حيثيات الأعوام التي قضاها مع الزعيم السياسي الشريف حسين الهندي فكان كتابه (أعوام مع الشريف حسين الهندي).

٥- نظير مارون عبود الذي أهتم بمذكرات والده وهو الأديب الفذ خلال القرن العشرين فاصدر عنه كتاب (مارون عبود من خلال ذكرياته) فهل من نسق ثالث لكتابة المذكرات؟

يقيني أن كتابة المذكرات تفيد القارئ كثيراً ما دامت قد احتلت موقعها بين الإصدارات، ولعل أهم الفوائد هي:

أ. عادة المذكرات تصدر عن إمرء مقتدر في لغته وأسلوبه سواء كانت اللغة عربية أو أجنبية وبذلك يزداد القارئ من هذا المجال.

ب. كاتب المذكرات في كل الأحيان يحمل فكرة أو رأياً أو شهد حدثاً تاريخياً أو سياسياً أو خلافهما، فكتابته عن ذاك الحدث يعني إضافته للقارئ معرفة جديدة.

ت. يضيف كاتب المذكرات إضافات حقيقية- حين يكتب- معلومات أو نظريات أو عمليات أو أحداث خلاصتها أن البشرية على دراية بتلك الأمور، خاصة فإنه حين يكتب، فإنما يفعل ذلك للكافة خاصة وعامة على حدِ سواء مما يجعل المعرفة منتشرة بين العقول

ث. كثيرة هي الحقائق الغائبة عن عامة الناس وخاصتهم ما لم يتصدى لها الواقف على أمورها سراً أو علناً، يعلن عنها من واقع تمليك المعارف لأفراد المجتمع البشري فيتبصر المجتمع ويستفيد من التجربة.

ج. بعض المذكرات ترد في باب المتعة الروحية التي يتمتع بها القارئ خاصة إذا صدرت مباشرة من صاحب الشأن، فهذه المتعة هي البحبوحة التي يتمرغ فيها المطلع إذ ليس كل ما يمس المعرفة الإنسانية هي جادة وصارمة ومتعسفة، بل ربما كانت إفرازاتها أكثر قيمة.

ح. المذكرات التي يكتبها الرجل من واقع مسئولياته وموقعه في الحياة تختلف بأدنى شك من المذكرات التي تصدر عن المرأة إذا كانت ذات منصب ومسئولية أو إذا كانت ملكة بجانب زوجها الملك أو كانت سيدة القصر الأولى أو كانت مجرد ربة منزل ولكن ترى بين يديها ما يدور في الدولة أو في القصر، فأحسب أن دافع المرأة لإصدار مذكرات يختلف في درجة حرارته عن دافع الرجل، بل ما يقوله كاتب المذكرات الذكر، لا يتطابق مع كاتبة المذكرات، إذ التباين يبدو جلياً كالفرق في طبيعة الخلق في كليْهما وما تتحاشى الأنثى ذكره في المذكرات ربما يراه الرجل واجباً وضرورة وبطولة.

إلاَّ أنه لا ننقص من أهمية ما تدوِّنه المرأة ذات الاهتمام فيما يدور حولها أو أمامها أو ما تجد نفسها فيه ضرورةً، بل ربما كان الأمر عندهن أكثر خطورة مما سواهم، وقد يلاحظون ما لم يلحظه الرجل، لكل ذلك تبدو المذكرات ذات أهمية لما فيها من أسلوب المعرفة والملاحظة والوصف للأحداث الغائبة عمَّنْ يدون خارج نطاق مسرح الحدث ومصنع القرار وتجهيزه، ولعل تاريخ البشرية مكتظ بنشاط المرأة ودورها الفعَّال وحضورها المؤثر، فقد كانت

هناك ملكات ووصيّات على العروش وصاحبات رؤية سياسية أقامت شأن الدولة حتى شبَّ الصغير أو عاد الغائب أو تزوجت مَنْ أعانها على حكم الدولة، يجد القارئ طرفاً من هذا في (مذكرات الأميرة جويدان) وسواها مما لم أذكر ضمن مراجعي ،وكم نعلم مجريات الأحوال في إمبراطوريات كبيرة كالإمبراطورية الرومانية والعثمانية بعد ذلك، بل ما كان يحدث داخل قصور ملوك مصر المعاصرين لم يكن ببعيد عن ذلك.

المبحث السادس:

ما هي الأدوات اللازمة التي تجعل المذكرات ذات قيمة وقريبة من الحق والصواب؟

أي ماذا يفعل كاتب المذكرات كي يقيم مذكراته ويجعل منها وثيقة وشهادة حق؟

يقيني أن الطريق إلي ذلك ليس صعباً إذا توفرت بعض المعايير التي يتبعها كاتب المذكرات وذلك مثل:

أولاً: حرص كاتب المذكرات منذ البداية، بل منذ تخمير الفكرة في ذهنه، وإحساسه بأنه يحمل في جوفه أمراً ذا أهمية يفيد المجتمع البشري كيفما وأياً كان ذلك المجتمع والواجب عليه يضطره ويقنعه أن يقدم مكتوباً.

ثانياً: أن يتحرى كاتب المذكرات الإبانة والتوضيح والبعد عن الغموض والتعمية كي يدرك قارئه ما يود إدراكه منذ الوهلة الأولى وذلك باستعمال اللغة السهلة وشرح ما يجب شرحه وما إلي ذلك من الكاشفات.

ثالثاً: ابتعاد كاتب المذكرات عن الحقائق المخلّة بآداب الكتابة مثل الاستفزاز والتصغير والتحقير، بل عليه التزام احترام كل مَنْ له صلة بالموضوع وعسى أن يكون في باطن الحقيقة الصغيرة أمراً خطيراً، وأحياناً يحدث العكس تماماً إن لم يكن كاتب المذكرات دقيقاً في الموازنة بين الأمور.

رابعاً: الاعتماد فيما يكتب على الإتيان بما يؤيد أقواله ويسندها وان تساعد بالتثبت وشهادة الحق مثل:

١- الصور الفوتوغرافية.

٢- الوثائق المكتوبة.

٣- الخُرط .

٤- الاستشهاد بالأحياء في مجتمعه.

٥- الإشارة ضمن مذكراته إلي الشواهد الثابتة كأن يكون الشاهد مؤسسة أو مبنى أو مشروعاً كيفما كان كي يقنع القراء ويسند ما كتب.

خامساً:الابتعاد عن الشواهد الضعيفة التي تقبل التأويل والإشارة إلي غير ما يعني كاتب المذكرات.

سادساً: ألا ينسب كل النجاح إليه وينسى- أو يتناسى عن عمد الآخرين- علماً أن (اللعبة) جماعية ومشتركة لا يُنسب فضل النجاح له وحده. وهكذا الأمور في المجتمع البشري.

سابعاً: ألا يبرئ نفسه من كل عيب أو فشل أصاب المشروع الذي تناوله في مذكراته وليعمل على إشراك الآخرين الذين شاركوه في النتائج كيفما كانت سلبية أو إيجابية.

ثامناً: أن يكون صادقاً، ويتحرى ذكر الصدق بشجاعة في التحليل والتأويل ويعطي كل ذي حق حقه إذ المهم حينئذ أن يعرف المطلع على مذكراته حيثيات الحال ومجريات الأمور ولو كانت النتائج سيئة وسالبة خاصة فإن عليه أداء الواجب وتحقيق الرغبة وتبقى النتائج في نهايتها منسوبة إلي مدبر الأمور سبحانه وتعالى. وفي ذلك من الآداب الإسلامية والقيم

الدينية الكثير الذي يعلمه الخاصة والعامة.

تاسعاً: كاتب المذكرات المسلم تتضاعف مسئولياته تجاه ما يكتب في ظلال الريادة المطلوبة والقدوة التي تتطلبها قيم الإسلام وسنة رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم لأنه متفرد بهذه (اللونية) التي إن لم يتسم بها ضاع- وضاع جهده- وسط الزوبعة.

المبحث السابع:

تطبيقات علمية:

وللقارئ الكريم أن يقارن في هذا الصدد بين مذكرات كاتبين استشهدت بهما في هذه الدراسة ليرى الفرق بين ما هو إسلامي وسواه وهما:

١- مذكرات حسن البنا

٢- اعترافات جان جاك روسو

عود إلي بدء :

أبديت في مطلع هذه الدراسة شكاً في أن كل مَنْ يكتب ذكرياته على قدر من المسئولية والصدق، وأنهم يغالون فيما يخصهم ويمس حياتهم بدءاً من تحصل الدراسة لاجئين إلي التفوق المطلق، وبعضهم يستنبط ضميره فيلجأ إلي آفاق الصواب ويقتربون مما يمكن أن تصدقه مجموعة القراء هذا إن لم تنعقد ألسنتهم بالدهشة وبشهقة الإعجاب الكاذب أو نصف الصادق. وهناك مَنْ رحم ربك وخافه وأتى بالرصين.

ولكني حيال هذه الآراء المضطربة اخترت بعض المذكرات شواهد على الدقة وربما قول الحق والصواب، ولكني لا أجزم بصواب كل صغيرة أو كبيرة، والمذكرات هي:

١/ من حقيبة الذكريات لعبد الله الطيب

ولعل القراء جميعهم يعرفون هذه الشخصية القرآنية حق معرفته وفي كتابه هذا لم يبعد كثيراً عن القرآن و(تُقابته) إذ دارت تفاصيل هذه المذكرات حول (الخلوة) بالسودان في حقب القرن العشرين الأولى، فكان مصوِّراً ملتزماً حسبما أملاه عليه واقع الخلوة السودانية التي حفظ فيها القرآن، وهو واقع غير معقد، بل مبسوط لكل راءٍ وكثيرون هم الذين لجأوا إليها دارسين وحافظين لكتاب الله تعالى، ومن الغريب أنها مؤسسة بسيطة تكررت صورتها وتكرر منهجها في كل أنحاء السودان مما يعني أننا كل شهود على ما ذكره عبد الله الطيب، بل أحسب أن (حقيبته) هذه حملت الكثير من الحقائق الثابتة التي أعطت هذه المؤسسة حقها وخاصة إذا قارنا هذا مع كتابات أخرى عن الخلوة، ولعل النموذج الذي أعنيه هو كتاب (التربية في السودان) للدكتور عبد العزيز أمين عبد المجيد، وهي الدراسة التي نال بها درجة الدكتوراه بالسودان عام ١٩٤٤م فضلاً عن أطروحات أخرى وبحوث في هذا الشأن وهي البحوث التي طابقت (ذكريات) عبد الله الطيب المشار إليها.

٢/ مذكرات يوسف ميخائيل (خلال فترتي التركية والمهدية والحكم الثنائي بالسودان).

وقد أضاف كاتب المذكرات إلي هذا العنوان عبارة (شاهد عيان) لترتفع درجة المذكرات.

وبقراءة هذه المذكرات، يمكننا إضافتها إلي مذكرات الأجانب الذين أدلوا بدلائهم في الشأن السياسي السوداني وهم بين العاطفة والواجب فيما يدوِّنون.

ذكر مقدم ومحقق هذه المذكرات الدكتور أحمد إبراهيم أبو شوك ضمن مقدمته واصفاً هذه المذكرات (يصف بعض الباحثين مذكرات يوسف ميخائيل ضمن أدبيات الحرب الدعائية التي شُنَّتْ ضد الدولة المهدية ورموزها) وذكر

بعض التحليلات ولكنه استطرد قائلاً:

(أما من حيث الموضوع فقد وثّقت مذكرات يوسف ميخائيل لألوان طيف شتّى من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المثيرة للجدل) وأذكر هنا أيضاً تبريراً لذلك يجده القارئ في صفحة (ح) من المذكرات.

ورغم ذلك، فإن من الملاحظ:

أ. أن يوسف ميخائيل كان ملّماً بخيوط اللعبة السياسية في الدولة المهدية.

ب. هذا السبب جعله مقرّباً لخليفة المهدي عبد الله التعايشي.

ت. هذا السبب أيضاً جعله أهلاً ليتولى وظيفة كاتم أسرار الخليفة عبد الله.

ث. هذا التأهيل صاغ من يوسف ميخائيل موالياً زائفاً لقيادة المهدية.

فهل نستطيع - بعد هذا- من الاستيثاق من جدية مذكرات يوسف ميخائيل؟

فهذه المذكرات يجب أن تخضع لدراسة وتمحيص وتحليل ضمن مذكرات أخرى لأجانب مثل ما كتبه (سلاطين باشا) في كتابه (السيف والنار) وكثيرون سواهما.

٣/ مشوار دبلوماسي للسفير الأمين عبد اللطيف

مما أشير إليه بداية:

• أن مشواره الدبلوماسي هذا احتاج فيه الكاتب شرح العمل الدبلوماسي وما يحيط به من مغريات الأمر الذي يوافقه عليه زملاؤه كلهم أو بعضهم.

• تقدم الكاتب للمجتمع السوداني بتفصيل بعمل السفارات السودانية وهو أمر نعرفه جميعاً، بينما ذلك من الأمور التي يعمل معه زملاؤه كي تزداد معرفة السوداني بوظيفة سفارته بالخارج.

• تطرق الكاتب إلي شخصية السفير وخاصة بعد التقاعد والمتاعب التي تلحق به وهو يحاول طرق بعض أبواب الرزق، بينما كانت له معاناة يحسُّ بها وحده وهي مسألة أسرته وتعليمهم والبيئات المختلفة التي تضر بهم قبل الاستقرار نهائياً بالسودان.

ومما أعجبت به من هذه المذكرات التفاصيل الدقيقة في كل أمر تطرق إليه وفيه السالب والموجب ذكرهما بشجاعة.

ورد في تقديم الكتاب للأستاذ محجوب محمد صالح (ص iii) قائلاً:

(وإذا ما تمكن الأمين وزملاؤه من ذلك الزمان السعيد من أن يوثقوا لعملهم الرائد في المجال الدبلوماسي وأن ينشروا مذكراتهم فإنهم يقدمون لنا خدمة كبيرة.) وهذه العبارة تشير إلي أمرين:

١- الموافقة على ما دوّنه الأمين عبد اللطيف في كتابه هذا.

٢- شهادة حق من أستاذ عالم أن كتابة المذكرة تضيف إذا جاءت على نسق ما ذكره السفير.

٤/ تجربتي مع الإذاعة لعلي محمد شمو

يبدو أن هذه (التجربة) وهي ذكريات دعتْه إليه شخصيات لتدوينها طرحاً للاستفادة المرجوة من هذه الخبرة الدسمة ولعل الداعي للكتابة ركزّ على الأجيال الحالية والتي على رأسها العمل بمختلف أنواعه. وهذه إشارة واضحة أنهم في حاجة إلي تجارب من سبقهم كالأستاذ علي محمد شمو الذي تبوأ وظائف كان العمل فيه ممتعاً بقدر المشقة التي تفرز إبداعاً، ولعل القارئ إذا أطلع على هذا السفر وجد متعة وأثاره الإعجاب.

ومن الملاحظ في هذه التجربة دقة التفصيل الذي يلزم صاحبه جانب الصدق وتحري الصواب إلي الحد البعيد.

وتستمر الملاحظة إلي ذكر كاتب (التجربة) عدداً كبيراً من الشهود الذين كانوا إلي جانبه وهو يقوم بعمله في ميادين الأعلام المختلفة ولعل من علامات صدق الكاتب في وظيفته أن جلس على كرسي الوزارة عدة مرات مروراً بمقاعد عديدة بدأت صغيرة وكانت النهاية سعيدة.

ثم ازداد كاتب (التجربة) يقيناً بأن أضاف إلي قلمه، آلة التصوير التي صدقت في تسجيل بعض الأحداث واللقاءات التي أشار إليها داخل الكتاب.

وفي كل ما قرأته ولمسته لم أجد كلمة (أنانية) أحالت إلي عبقري زمانه دون سواه، بل ظل الدهر كله يسعى بشقاء لرفعة المهمة التي هو قائم على أمرها، فلمسناها نحن في السودان في (الراديو) وفي (التلفاز) وما زال الرجل قريباً منهما بتدريسه الإعلام في جامعات السودان بينما استعانت به دول عرفت قدر شأنه الرفيع فأثبت جدارته.

بقراءتي لهذه المذكرات تيقنت أن الرجل تواضع وكتب بشئ من الخجل مبعداً نفسه عن مظان الظن والتأويل.

تذييل

رغم التباين في استقامة هذه المذكرات ورغم أهميتها صعوداً وهبوطاً في إعانة توضيح الحقائق، إلا أن الحق يقال:

أولاً: أن مجرد الكتابة والتدوين، يعتبر أسلوباً حضارياً تهتم به المجتمعات البشرية حفظاً لمعارفها جميعاً من سياسة وثقافة واقتصاد وأدب مطلق حتى لا يُفقد ويُدفن في صدور الرجال المدفونين والذاهبين بأسرارهم، وهذه منقصة في حق الإنسانية.

فالكتابة والتدوين كيفما شاء الإنسان في غاية تفقدها كثير من الأمم بينما تمتعت بها أمم أخرى.

ثانياً: أحسب أن الكتابة على إطلاقها إضافة حقيقية في كثيرٍ من جوانب المعرفة الإنسانية جملةً وتفصيلاً تغيب عن بعض وتعين بعضاً وتضيف إليهم فيما كتبوا، ومن خلال هذه الرؤية تعتبر كتابة المذكرات ضرورية بقدر ما تحتم الضرورة للكشف عن شهود العيان ولو لم يكونوا كما نحب ونرضى فيمكن الرجوع إليهم – إن ظلوا على المحجة البيضاء- يُستنطقون ويُستكتبون ويُستعان بهم إذا امتلكوا وثائق تفيد الحدث زيادة على المتعة التي يجللون بها الواقعة ويحيلونها إلي ثمرة تفيد.